بسم الله الرحمن الرحيم

# سورة الروم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

هذه بداية سورة الروم المكية، وهي تخبر عن معركة وقعت بين الفرس المجوس، وبين الروم أهل الكتاب، وقد غلب فيها الفرسُ الرومَ، وفرح بذلك المشركون.

كما تبشر هذه البداية بمعركة أخرىٰ تقع بين الروم والفرس؛ بعد ذلك يغلب فيها الرومُ الفرس، ويفرح بذلك المؤمنون.

و ﴿الٓمٓ﴾ هي واحدة من هذه الحروف التي افتتحت بها بعض السور؛ لجذب الاهتمام، ولفت الأنظار، حتىٰ يُسْمَع ما بعدها من القرآن.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ من فارس ﴿فِيٓ أَدۡنَى﴾ أقرب ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلىٰ العرب، وهي بلاد الشام.

﴿وَهُم﴾ أي: الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ وهزيمتهم أمام الفرس ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ الفرس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ في مدة لا تتجاوز العشر سنوات؛ إذ البضع: هو من الثلاث إلىٰ العشرة.

و ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: من قبل النصر ومن بعده، وكذلك من قبل كل شيء ومن بعده.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم ينتصر الروم أهل الكتاب، علىٰ الفرس المجوس، وتتحقق البشارة ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم والروم يؤمنون بالله، وهؤلاء أهل الكتاب، وهؤلاء مثلهم أهل الكتاب، والمعركة أصلًا بين فريق الكفر وفريق الإيمان، سواء بين الروم والفرس، أو بين المسلمين والمشركين، لذلك فرح المشركون لانتصار الفرس علىٰ الروم.

علىٰ أية حال ﴿يَنصُرُ﴾ الله ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، علىٰ من يشاء منهم، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب لأعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ العاطف علىٰ أوليائه.

كانت هذه البشارة..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

**يعني**: أن نصر الروم علىٰ الفرس وعد من الله و ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أبدًا.

وقد تحقق هذا الوعد بالفعل، وانتصر الروم علىٰ الفرس، في ذات اليوم الذي انتصر فيه المسلمون علىٰ المشركين في بدر، ورد الله شماتة المشركين بالمسلمين.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صدق وعد الله.

وما ذلك إلَّا لأنهم:

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

أي: أن الذين لا يعلمون صدق وعد الله، ولذلك لا يلتزمون بشرعه، ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فقط ﴿ظَٰهِرًا﴾ واحدًا ﴿مِّنَ﴾ ظواهر ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وشغلوا وفتنوا به.. ﴿وَهُمْ﴾ في ذات الوقت ﴿عَنِ﴾ معرفة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ والاستعداد لها بالعمل الصالح ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

هؤلاء الذين غفلوا عن الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

**يعني:** ﴿أ﴾ غفلوا أيضًا ﴿وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ وهي أقرب شيء إليهم، ولو أنهم تفكروا؛ لعرفوا أنه ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عبثًا بل ما خلق الله ذلك كله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لغاية وحكمة هي الحق كله، والصواب كله.

﴿و﴾ كذلك ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تنتهي عنده الخلائق.

وما دام هذا الخلق ليس عبثًا، بل لغاية، ولأجل محدد ومعلوم عند الله تعالىٰ؛ فإن القادر علىٰ ذلك: قادر علىٰ البعث، وبذلك فالبعث حق، ولقاء الله حق، ومع هذا الوضوح: فـ ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالبعث ﴿لَكَافِرُونَ﴾ منكرون.

هؤلاء الذين ينكرون البعث، يهددهم الله بقوله..

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

**يعني:** ﴿أ﴾ قعدوا ﴿وَلَمْ يَسِيرُوا﴾ بأبدانهم، أو بعقولهم ﴿فَيَنظُرُوا﴾ ويتفكروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في الدنيا من الهلاك..؟ مع أنهم ﴿كَانُوا﴾ أي: الذين من قبلهم ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حرثوها وزرعوها وأفادوا منها ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بالبنيان وغيره ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: أكثر مما عمرتموها أنتم..!!

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ يدعونهم إلىٰ الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته، وقد أيدهم الله ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهي المعجزات الواضحة في صدق نبوتهم، ولكنهم كذبوهم، فأخذهم الله وأهلكهم ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وهذا في الدنيا.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ هي ﴿السُّوأَىٰ﴾ أي: جهنم، وذلك:

في الآخرة، بسبب: ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على توحيده وقدرته ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

هذا، ولما بيّن تعالىٰ أن عاقبة هؤلاء المكذبين المستهزئين هي جهنم في الآخرة، أخذ يقدم الأدلة على إثبات هذه الآخرة التي إليها يبعثون، وفيها يحاسبون، فقال سبحانه:

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

أي: أن مَن قدر على الخلق وخلق، قادر على الإعادة وسيعيد ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كل واحد بما عمل فاعملوا خيرًا، واستعدوا..

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

يعني: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ هذه ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يتحيرون، ويكتئبون.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم﴾ أي: وليس لهم في هذا اليوم العصيب ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ الذين عبدوهم في الدنيا ﴿شُفَعَـٰٓؤُا۟﴾ يشفعون لهم في تخفيف العذاب عنهم.

خاصةً: ﴿و﴾ هم الذين ﴿كَانُوا۟﴾ بسبب ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ هؤلاء ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ بالله.

أيضًا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

يعني: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ هذه ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي: يتفرق الناس ـ باعتبار إيمانهم بالبعث، واستعدادهم له قبل ذلك ـ إلى مسلمين وكافرين، وهذه هي الفرقة التي لا لقاء بعدها أبدًا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ في الدنيا: ﴿فَهُمْ﴾ اليوم ﴿فِى رَوْضَةٍ﴾ أي: في جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسرون ويُنعمون.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ورسله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الدالة على وجودنا ووحدانيتنا في الدنيا: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مقيمون، لا يغيبون عنه، ولا يخفف عنهم.

ولمَّا بيّن ربنا ـ كما عرفنا ـ أنه في يوم القيامة، يتفرق الناس إلىٰ فريقين: ناجٍ، وهالك. أتْبَع ذلك بذكر ما يوصل إلىٰ هذه النجاة، ويُنجي من هذا الهلاك، فقال تعالىٰ:

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: نزهوا الله تعالىٰ عن كل نقص وعيب، حيث له عز وجل كل كمال في ذاته، وصفاته وأسمائه، وهذا التنزيه يتناول:

**التنزيه بالقلب**: وهو اليقين الكامل، والاعتقاد الجازم.

**والتنزيه باللسان**: وهو الذكر الحسن.

**والتنزيه بالأركان**: وهو العمل الصالح.

حيث إن الإنسان إذا اعتقد شيئًا بقلبه ظهر علىٰ لسانه.

**فإذا قال**: ظهر صدقه في مقاله، وظهر في أفعاله، **فإذا فعل**: ظهر صدقه في أحواله.

ومن المعلوم أن الصلاة أفضل الأعمال، ولذلك: نوه علىٰ أهمية التنزيه في هذه الأوقات.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ في صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ في صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ في صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ في صلاة الظهر، ومن المعلوم أيضًا أن قوله ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إشارة إلىٰ أنَّ هذا التسبيح لنفع العباد ومصلحتهم، إذْ هو الغني سبحانه عن العالمين.

وهو سبحانه الذي:

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

أي: آمنوا به، ونزهوه عن كل نقص، وصفوه بكل كمال؛ فهو القادر علىٰ بعثكم بعد

موتكم، وحسابكم ومجازاتكم علىٰ أعمالكم في يوم القيامة، وهو الذي ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالحيوان من النطفة، أو الدجاجة من البيضة.

﴿و﴾ هو الذي ﴿يُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ علىٰ العكس مما سبق.

﴿و﴾ هو الذي ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالإنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعدمه.

﴿و﴾ كذلك أنتم ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم للبعث والحساب.

والدلائل علىٰ قدرة الله عز وجل علىٰ هذا البعث كثيرة، ومنها ما يلي:

يقول الله تعالىٰ:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

هذه أول الدلائل التي يسوقها المولىٰ هنا، ونلحظ ابتداءً:

**أولًا:** جملة ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ سوف تتكرر هنا ست مرات.

**ثانيًا:** هذه الآيات تتعلق بقدرة الله في الأنفس والآفاق.

**ثالثًا:** ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ في الأنفس من الآيات أمرين أصليين، وهما:

﴿خَلَقَكُم﴾ و ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢١]، يعني: الذكر، والأنثىٰ.

وأمرين لازمين، وهما: ﴿ٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾، واختلاف ﴿أَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

وأمرين عارضين، وهما: ﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾، ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم:٢٣] في النهار.

**رابعًا:** ذكر الله تعالىٰ في الآفاق من الآيات.

أمرين أصليين، وهما: ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ و ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢].

وأمرين لازمين، وهما: قيام السماء بغير عمد، وقيام الأرض دون سقوط.

وأمرين عارضين، وهما : ﴿ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] ونزول المطر.

وتعالوا بنا إلىٰ استعراض هذه الآيات سريعًا.

**أولًا:** ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ سبحانه في الأنفس، الدالة علىٰ قدرته وتوحيده.

﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ باعتبار أصلكم، أو غذائكم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ علىٰ وجه الأرض، تتصرفون في أمور حياتكم ومعاشكم.

ثانيًا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

يعني: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ سبحانه في الأنفس الدالة علىٰ قدرته، وتوحيده.

﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: من: جنسها، ليكون الأُلْفُ، وليس التنافر.

﴿و﴾ كذلك ﴿جَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ تفيض منهما علىٰ أهل الدنيا جميعًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ بينات واضحات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله.

ثالثًا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

يعني: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ سبحانه في الآفاق، وفي الأنفس الدالة علىٰ قدرته، وتوحيده ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بهذا النظام البديع الفريد العظيم.

﴿و﴾ كذلك ﴿ٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم المتعددة ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ﴾ المتباينة إن في ذلك المذكور ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ بينات واضحات ﴿لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾.

رابعًا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

يعني: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ سبحانه في الأنفس.. الدالة علىٰ قدرته، وتوحيده.

﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾ أي: منامكم بالليل، وابتغاؤكم أي: طلبكم الرزق من فضله بالسعي في ذلك بالنهار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وفهم.

خامسًا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

يعني: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ سبحانه في الآفاق الدالة على قدرته، وتوحيده أنه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ في السماء ﴿خَوْفًا﴾ من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ في نزول المطر بعده.

﴿و﴾ كذلك ﴿يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب ﴿مَآءً﴾ وهو المطر ﴿فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالإنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ بينات واضحات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يستعملون عقولهم.

سادسًا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يعني: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ سبحانه في الآفاق الدالة على قدرته، وتوحيده.

﴿أَن تَقُومَ﴾ أي: قيام ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ هكذا بغير أعمدة.

﴿و﴾ كذلك ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ ثابته دون أن تسقط في هذا الفراغ الكوني الرحيب الرهيب، وذلك ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ وتدبيره، وقدرته، سبحانه.

﴿ثُمَّ﴾ في يوم القيامة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ أيها البشر، وأنتم في قبوركم للبعث ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ﴾ سراعًا ﴿تَخْرُجُونَ﴾ للعرض، والحساب، والجزاء.

أبعد كل هذه الدلائل والآيات تُكذبون بالبعث، ولا تؤمنون بهذا الإله، القادر، الواحد، سبحانه وتعالى؟!!

يقول الله تعالى:

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

أي: أتكذبون ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وتصرفًا.

و﴿كُلٌّ لَّهُۥ﴾ وحده ﴿قَٰنِتُونَ﴾ خاضعون، فلمَ لا تصدقون، وتخضعون..؟

**خاصةً:** ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ لا غيره ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث للحشر والحساب والجزاء، لا غيره ﴿وَهُوَ﴾ أي:﴿أَهْوَنُ﴾ وأيسر ﴿عَلَيْهِ﴾.

﴿و﴾ أيضًا ﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الوصف الأعلىٰ علىٰ ألسنة مَن ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا غيره ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لا غيره.

إذا كانت الآيات السابقة تدل علىٰ قدرة الله ووحدانيته، فإن رب العزة سبحانه وتعالىٰ يؤكد علىٰ موضوع الوحدانية، بضرب المثل التالي للمشركين:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

**يعني:** ﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يدل علىٰ وحدانية الله ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: متساوون..؟ وفي ذات الوقت ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يقاسموكم فيه، أو يحاسبوكم عليه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ معاشر الأحرار؟ طبعًا.. لا، فكيف إذاً لا ترضون هذا لأنفسكم من عبيدكم وهم بشر مثلكم، وترضون هذا لله من أصنام لا تعي ولا تعقل؟

﴿كَذَٰلِكَ﴾ التوضيح ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ والدلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

علىٰ أية حال، ليست المسألة عند هؤلاء انعدام عقل، بل عدم استخدام العقل، يقول الله تعالىٰ:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

أي: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ﴾ هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وكفروا ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ وشهواتهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أتاهم بذلك، أو دليل عندهم، وضلوا..

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾؟ لا أحد.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم عذاب الله حين ينزل بهم.

وبعد أن اتضحت جليًّا قدرة الله ووحدانيته لكل ذي عقل، وبعد أن لم يستفد منها، أو ينتفع بها المكذبون المعاندون، يوجه الله تعالىٰ المصدِّقين قائلًا سبحانه:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

أي: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ يا محمد، ويا كل مؤمن ﴿لِلدِّينِ﴾ واستقم عليه، والتزم بتشريعاته وأحكامه، وكُنْ ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلًا، ومبتعدًا عن كل الأديان المحرفة، والملل الفاسدة.

حيث إن دين الله، الذي هو الإسلام: هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: الخلقة ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لا ينبغي لأحد أن يبدل أو يحاول أن يبدل هذه الفطرة أيضًا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ الذي نطالبك بالاستقامة عليه، والالتزام به، هو ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الذي لا انحراف فيه، ولا اعوجاج لمبادئه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ثم يكمل هذا التوجيه بقوله عز وجل:

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

**يعني**: وكونوا ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ مقبلين عليه، راجعين إليه في كل ما أمر به، وكل ما نهى عنه.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ إذا أقبلتم عليه، ولا تأمنوا فتهملوا، بل خافوه، وداوموا علىٰ عبادته ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدوها، وحافظوا عليها ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في عبادتكم غيره سبحانه، بل كونوا موحدين، مخلصين لله في كل شيء .. يعني لا تكونوا

من المشركين ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بدلوه، وحرفوه، وغيروه، وتفرقوا من بعده ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ وأحزابًا وصار ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من باطل ﴿فَرِحُونَ﴾ به.

ثم يبين ربنا بعضًا من طبيعة الإنسان، فيقول جل وعلا:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أي: أنه ﴿إِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ وأصابتهم شدة، أو أية أزمة: ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم﴾ وأخلصوا له الدعاء ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قاصدونه وحده.

﴿ثُمَّ إِذَآ﴾ تغير حالهم، وذهبت عنهم الشدة، وزالت عنهم الأزمة: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ﴾ يعودون إلىٰ ما كانوا عليه، و ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالله، دَعْهُم.. ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من نعم ويكفروا ـ كذلك ـ بصاحب هذه النعم، كما يريدون، ويُملي عليهم هواهم.

**نقول لهم:** ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ يا من كفرتم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال كفركم، وعاقبة شرككم، ثم يعجب ربنا من حالهم فيقول: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة ودليلًا.

**يعني:** هل أنزلنا لهم دليلًا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ويدل لهم ويساعدهم في موقفهم وتمسكهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ ..؟ كلا.. إن موقفهم هذا انحراف عن فطرة الله الموحِّدة. **كذلك..**

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: أنه ﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ منا، وأنعمنا عليهم بنعمنا: ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فرح بطر وغرور ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ مصيبة، أو أزمة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بسبب منهم، كمعصية، أو إهمال: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من رحمة الله.

يعني: حال الناس عجب.. !! فهم في المصائب، والأزمات بين رجاء وقنوط، وفي الرخاء بين غرور وكفران.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ويعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه هو الذي ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ ابتلاءه بالسراء من عباده !!؟ وهو الذي ﴿يَقْدِرُ﴾ يضيق لمن يشاء ابتلاءه بالضراء من عباده؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ما دام الله هو الباسط وهو القابض، ومنه تبارك وتعالىٰ يكون الغنى، وبأمره يكون الفقر.. إذن:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

**يعني**: فأعط ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقيرًا كان أو غنيًّا ﴿حَقَّهُۥ﴾ من الصدقة، والصلة، والبر ﴿و﴾ كذلك ﴿ٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المحتاج إلىٰ نفقة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إعطاء هؤلاء والإنفاق عليهم ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ وثوابه، ومرضاته ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المعطون الخيرون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

هـــــذا.. ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

أي: إذا لم تعطوا الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، حقوقهم من أموالكم، علىٰ جهة الصدقة !! بل ﴿ءَاتَيْتُم﴾ أموالكم ﴿رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ويزيد لكم: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: فلا يبارك الله فيه؛ حيث يمحقه، ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿و﴾ أما ﴿مَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ وثوابه، ومرضاته، به: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يفعلون ذلك ﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ المضاعفون لحسناتهم عند الله.

وهو.. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

يعني: ﴿ٱللَّهُ﴾ عز وجل وحده هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ لا شريك له في ذلك كله.

فـ: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ المذكور ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ ولو بسيط؟

لم يجيبوا.. ولن يجيبوا..!! ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

وعلىٰ هذا فالشرك فظيع. وهذه بعض آثاره..

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾: أي: كثر وانتشر، وعلا صوته، وارتفع أصحابه، والفساد: هو الانحراف عن أوامر الله، وعدم إسعاد العباد، وعدم إصلاح البلاد.

نعم، ظهر الفساد ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: صار عامًا، وذلك ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي والذنوب، والشرك بالله، وكان ذلك ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ الله نتائج وآثار ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ من الخطايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن هذه المعاصي.

إن كانوا يشكون في هذا ويريدون دليلًا..

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

أي: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ واعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ﴾ عصوا ﴿مِن قَبْلُ﴾ ؟ حيث أهلكناهم، وذلك بسبب أنه ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

وما دام الأمر كذلك..

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

أي: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أيها المؤمن ﴿لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ الذي هو الإسلام، واستقم عليه، والتزم بتشريعاته، وذلك ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ وهو يوم القيامة. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون، وهم أهل الموقف.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يعني: ﴿مَن كَفَرَ﴾ منهم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ أي: عليه وبالُ كُفْرِه، وهو جهنم ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ منهم ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ طريقهم إلى الجنة، وذلك: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على أعمالهم ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وأما الذين كفروا فـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بل يعاقبهم.

كل ذلك في اليوم الآخر الذي ينبغي أن تؤمنوا به، وأن تستعدوا له، وللتدليل على ذلك اليوم، يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

أي: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على وحدانيته، وكمال قدرته على بعث الخلائق، وحسابهم، ومجازاتهم: ﴿أَن يُرْسِلَ﴾ بقدرته ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾..

**أولًا:** ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطر، الذي يغيثكم الله به من القحط والجفاف والمجاعات.

**ثانيًا:** ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ حينما ينزل المطر، وتنبت الأرض.

**ثالثًا:** ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بتصريفه وتدبيره، كل ذلك منه سبحانه وتعالىٰ لكم. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ تعرفون هذه الإنعامات الإلٰهية و ﴿تَشْكُرُونَ﴾ الله عليها..

هذا، ومن المعلوم أن قضية اليوم الآخر والجزاء فيه والتدليل عليه، قضية في غاية الوضوح، حيث بُعِثَت بها الرسل، وأقيمت عليها الدلائل. يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

**يعني:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿رُسُلًا﴾ كثيرين ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ لدعوتهم إلىٰ توحيد الله، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، والاستعداد له ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة علىٰ صدق ذلك، فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: كفروا.

وذلك: بالإهلاك عليهم في الدنيا، ونصرنا المؤمنين عليهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرمًا وتفضلًا، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والذي ينتقم من المجرمين، وينصر المؤمنين.. هو:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

أي: هو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ بقدرته ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ وتحركه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ الله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في جهتها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ علىٰ الوضع الذي يريده.

﴿وَيَجْعَلُهُۥ﴾ سبحانه ﴿كِسَفًا﴾ أي: قطعًا متفرقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي: المطر ﴿يَخْرُجُ﴾ يسقط ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من بين ثناياه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ﴾ الله ﴿بِهِۦ﴾ أي: بهذا المطر، وأسقطه علىٰ بلاد ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أن ينزله عليهم ﴿إِذَا هُمْ

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ويفرحون بنزوله عندهم، وسقياهم منه، وانتفاعهم به ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر، منذ مدة طويلة ﴿مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من نزوله، فاقدين الأمل من سقوطه.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَٱنظُرْ﴾ أيها الإنسان ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ وهي المطر، و ﴿كَيْفَ يُحْىِ﴾ الله به ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ فتنبت وتثمر للناس ما يحتاجون إليه، ويعيشون عليه!!؟ لتعرف قدرة الله سبحانه علىٰ البعث، حيث ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل هذا ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ﴾ وباعثهم من قبورهم ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هذا.. ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

أي: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا﴾ لهؤلاء الذين يستبشرون بالمطر ﴿رِيحًا﴾ مصفرًا لا يمطر ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ وأصيبوا بآثار اصفراره من الجفاف وغيره.. ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ بكل نعم الله، بدل أن يصبروا علىٰ بلائه لهم بقلة المطر، ويَجِدُّوا في أعمالهم، ويتوكلوا عليه.

مثل هؤلاء في الناس هم موتىٰ القلوب:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

**يعني**: فلا تحزن لعدم إيمانهم؛ إذ هم موتى ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهم صم عن الحق، وأنت ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟﴾ جميعًا هؤلاء وهؤلاء ﴿مُدْبِرِينَ﴾ معرضين عنك.

﴿و﴾ أيضًا ﴿مَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ﴾ أي: كذلك لا تقدر على هداية العميان إلى الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله، فإنه تعالى بقدرته يُسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي مَن يشاء ويضل مَن يشاء، وليس ذلك لأحدٍ سواه.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أي: أنت لا تُسْمِع، ولا يسمع منك سماع تدبر ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهو القرآن، ﴿فـ﴾ هؤلاء ﴿هُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون للحق، خاضعون له، عاملون به.

يلاحظ: أن الله عز وجل أعاد ذكر بعض آياته في الآفاق، بقوله تعالىٰ ـ كما استمعنا ـ منذ قليل ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨] الآية..!! وهنا سيعيد سبحانه أيضًا بعض آياته في الأنفس، وذلك لمزيد التأكيد علىٰ وحدانيته، وقدرته، وإثبات اليوم الآخر. حيث يقول الحق جل وعلا:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

**يعني**: هو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾ بقدرته ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر، وهو الطفولة ﴿قُوَّةً﴾ وهي قوة الشباب.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ الشباب ﴿ضَعْفًا﴾ وهو ضعف الكبر ﴿وَشَيْبَةً﴾ وهو الهرم، سبحانه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الضعف والقوة، والشباب والهرم، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ علىٰ تغيير هذه الأحوال.

ولمَّا فصلت الآية في أحوال بدء الخلق، جاء التفصيل بعض الشيء في أحوال إعادة الخلق.. علىٰ النحو التالىٰ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

**يعني**: ويوم تقوم الساعة ﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون، ولكن علام يحلفون..؟ يحلفون على أنهم ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ ما عاشوا في الدنيا، أو ما بقوا في قبورهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ واحدة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ العُمْي عن الصدق ﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الإيمان بيوم البعث، هذا في الدنيا، وأما ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم، فيقولون غير ذلك، إذْ يقولون لهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ مكثتم ﴿فِى

﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وقضائه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: من يوم خُلقتم إلى أن بُعثتم.

**ويلاحظ:** أن أهل العلم والإيمان هم الذين كانوا يعلمونهم بأمر هذا البعث قبل ذلك في الدنيا أيضًا، ثم يوبخونهم على إنكارهم السابق ليوم البعث هذا، قائلين لهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ أنتم فيه الآن ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه آت، لعنادكم وكفركم، وتكذيبكم الرسل، ولكن ماذا يفيد العتاب، أو التوبيخ، أو الاعتذار؟ لقد فات الأوان..!!

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ : ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عن كفرهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم الاعتذار ولا ينفعهم الاعتذار إذا اعتذروا..!!

ولكن هل بقي مجال للحديث عن الاعتذار،؟ أبدًا والله، يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

**يعني:** ﴿وَلَقَدْ﴾ وضحنا للناس الحق، وضربنا لهم عليه الأمثال؛ ليفهموه، فيتبعوه.

ولكن الذين كفروا مهما جئتهم بالآيات والدلائل يقولون ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ وهذا زور وباطل.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ ويختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ﴾ هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق ويعاندونه، ويجادلون فيه.

**لذلك:** ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

أي: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على عنادهم وتكذيبهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك على أعدائك، وإظهار دين الإسلام على كل الأديان ﴿حَقٌّ﴾ ووعد من الله، ووعد الله لا يتخلف.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أنك على الحق، وأن الله ناصرك، أي: لا يحملونك على استعجال النصر، أو الجزع مما يقولون لك أو عنك، فأنت بعون الله منصور، ودينك بإذن الله منصور.

* * *